المحاضرة الأولى: تعريف التفسير الموضوعي وعلاقته بأنواع التفسير الأخرى.

1: تعريف التفسير الموضوعي:

التفسير الموضوعي مركب وصفي لتعريفه ينبغي تعريف جزأيه (التفسير) و(الموضوع).

أولا: تعريف الموضوع في اللغة.

ورد في لسان العرب أن :" الوضع ضد الرفع، وضعه يضعه وضعا وموضوعا وأنشد ثعلب بيتين فيهما: موضوع جودك ومرفوعه، عنى بالموضوع ما أضمره و لم يتكلم به، والمرفوع ما أظهره وتكلم به ". [1]

وجاء فيه أيضا أن : " الموضع: مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وضعا وموضوعا، وهو مثل المعقول، وموضعا، وإنه لحسن الوضعة أي الوضع... ووضعها: ألزمها المرعى، وإبل واضعة أي مقيمة في الحمض... وقال أبو زيد: إذا رعت الإبل الحمض حول الماء فلم تبرح قيل وضعت تضع وضيعة، ووضعتها أنا، فهي موضوعة "[2].

والملاحظ على ما أورده ابن منظور أن الموضوع قد يأتي بمعنى الخفض أو الإضمار وهو ضد الرفع أو الإظهار؛ كما قد يأتي بمعنى الملقى باليد أو الملازم للمكان لا يبرحه؛ وهذا الذي أشار إليه عبد الستار فتح الله سعيد بقوله:" والموضوع في اللغة مأخوذ من الوضع، وهي مادة تدل على مطلق جعل الشيء في مكان، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان "[3].

وعند التأمل نجد أن الموضوع يطلق ويراد به الوضع المعنوي كقولنا هذا رجل وضيع أي ذليل، ويطلق ويراد به الوضع المادي الحسي كقولنا ضع ما بيدك على الأرض.[4]

ثانيا: تعريف التفسير الموضوعي اصطلاحا:

---

[1] لسان العرب – ابن منظور – مادة: (وضع) - ج:8 – ص:296.

[2] المرجع نفسه - مادة: (وضع) - ج:8 – ص:401.

[3] المدخل إلى التفسير الموضوعي - عبد الستار فتح الله سعيد – بور سعيد – دار النشر للتوزيع – ط.1 – 1406هـ - 1986م – ص:19-20.

[4] ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – صلاح الخالدي – ص:29.

تعددت تعريفات العلماء والباحثين للتفسير الموضوعي، وتباينت بين موسع ومضيق لذلك ولعل أوجزها وأحسنها ما ذكره مصطفى مسلم ورجحه على غيره في كتابه مباحث في التفسير الموضوعي:" هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[5]؛ وقد علل هذا الترجيح لخلوه عن التكرار ولإشارته إلى نوعيه الرئيسيين.[6]

2: أهمية التفسير الموضوعي.

قد أشكل على بعض قاصري الفهم كيف لنصوص الوحي المحددة والثابتة أن تلبي حاجات المجتمعات في شتى الميادين المتجددة والمتزايدة، وتساير الأفكار والفهوم المتولدة والمستمرة، وتجيب على النوازل المتغيرة بتغير الأعصار والأمصار، وتوضح هدايات الإسلام لكل ذلك؛ وفي العناصر الرئيسة الآتية التي توضح جوانب من أهمية التفسير الموضوعي إجابة على الإشكال السابق:

1: عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، فكلما جدت على الساحة معطيات جديدة لتطور الفكر البشري، يعايشها المفسر، ويحيط بدقائقها وحقائقها ثم يلجأ إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية الشريفة ليستنطق النصوص الشريفة ويميط اللثام عن وجوه جديدة من الهدايات القرآنية؛ ويجد أهل الاختصاص في كل فن أن المعجزة الخالدة الباقية تقيم الحجة على الأجيال وأن في القرآن من الكفاية والغناء عن كل شيء.[7]

2: في ظل مشاكل العصر ومعطيات الحضارة يحتاج الناس إلى معرفة هدي الوحي غاية الاحتياج، وإلى فهم ما حواه من شمول موضوعي بالغ غاية الكمال وإلى إدراك ما يُقدِّمه لهم من حلول لمُشكلاتهم النفسية والاجتماعية، ومُعضلاتهم الأخلاقية والاقتصادية، ولا يتحقق ذلك إلا بدراسات علمية جادة لموضوعات القرآن الكريم، ثم تنصب أمام

---

[5] مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم – دار القلم – دمشق – ط.3 – 1433هـ - 2000م – ص:16.

[6] ينظر: المرجع نفسه – الصفحة نفسها.

[7] مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم – ص:30.

الناس مثلاً أعلى، وجبلاً ممدوداً للنجاة من هذه المحنة العالمية الطاغية.[8]

3: يعطي التفسير الموضوعي الفرصة للعلماء والباحثين المسلمين بتأصيل الكثير من العلوم الإنسانية والطبيعية والحضارية المختلفة، تأصيلا قرآنيا شرعيا، تتكون لها شخصيتها وهويتها القرآنية[9].

4:تصحيح مسار الدراسات العلمية وتأهيلها.

ما من شيء من العلوم إلا وله في القرآن ما يُشير إليه بالعبارة أو بالإشارة، فالقرآن إذن يؤهِّلُ هذه العلوم ويُصحِّحُ مسارها لتسير مع القرآن في اتجاه واحد وتخدم هدفاً واحداً فعلم أصول التربية القرآنية وأصول علم الاقتصاد الإسلامي وأصول الإعلام وغيرها كل هذه العلوم تحتاج إلى أن تنضبط بتوجيهات القرآن وتعليماته ليجلي جوانبها ويُحدد ملامحها ويربطها بالحياة، ومن ثمَّ يرتب المجال لكلِّ دارسٍ كي يربط تخصصه بهدايات الوحي ويصنع الحياة على عينه.[10]

5: التفسير الموضوعي يعد من أهم الوسائل المعينة على درء كثير من الشبهات التي يثيرها أعداء الدين، ويلبسون بها على عقول المستضعفين والسفهاء في كثير من الدراسات القرآنية والتاريخية.

فجمع الآيات المتحدة الموضوع يمكن الباحث من دفع التعارض الظاهري بين النصوص، كما يمكنه من إبطال دعوى العداوة بين الدين و العلم.[11]

3: علاقة التفسير الموضوعي بأنواع التفسير الأخرى.

ذكر العلماء فروقا جوهرية بين التفسير الموضوعي وغيره من التفاسير الأخرى يمكن إبرازها في النقاط الرئيسة الآتية:

---

[8] ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي – عبد الستار فتح الله سعيد – ص:42.

[9] التفسير الموضوعي – إشكالية المفهوم والمنهج – سليمان الدقور – مجلة دراسات – علوم الشريعة والقانون – الجامعة الأردنية – المجلد:41 – العدد:1 – 2014م – ص: 115.

[10] أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة – أحمد عبد الكريم الشوكة – مجلة كلية الإمام الأعظم أبو حنيفة – جامعة العراق – 1435هـ - 2014م - العدد:18 – ص:149.

[11] ينظر: البداية في التفسير الموضوعي – عبد الحي الفرماوي – ص: 67 وما بعدها.

أ: الفرق بين التفسير الموضوعي والتحليلي.

إن علاقة التفسير الموضوعي بالتحليلي علاقة تتداخل وشائج الصلة فيها من عدة اعتبارات، فهي علاقة نمو وتطور، إذ يعد التفسير الموضوعي خطوة متطورة عن التفسير التحليلي، وهي علاقة اتحاد وتعاون إذ كلاهما غرضه كشف مراد الله تعالى. [12]

ومع هذا التكامل تتمايز بينهما فروق جوهرية أهمها:

1: المفسّر في التفسير الموضعي ينظر في القرآن وسوره وآياته، يبدأ منه، ويبقى معه، وينتهي به، يجلس أمام القرآن، ويتلقّى منه، ويستمع إليه، ويسجّل ما يتلقّاه ويأخذه منه؛ بينما المفسّر في التفسير الموضوعي يبدأ من الواقع الذي يعيش فيه، ويدرك حاجات الأُمّة والإنسانية في عصره على مختلف جوانبها؛ وبعدما يعي هذه الحاجات الواقعية، ويحسن تشخيصها واستيعابها، يتوجّه إلى القرآن، ليتفاعل معه، ويتعلّم منه، ويعرف رأيه في هذه الحاجات والقضايا الواقعية المعاصرة.[13]

2:يتعرض المفسر في التفسير التحليلي إلى عدة مواضيع حسب الآيات أو السور معتبرا في ذلك الترتيب التوقيفي لها بخلاف التفسير الموضوعي حيث يلتزم فيه المفسر بموضوع واحد محدد، يتخير فيه من الآيات ما يخدم بحثه.

3:المفسّر في التفسير التحليلي يكتفي بتحليل الآيات وجُمَلِهَا وتراكيبها، واستخراج دلالاتها التفصيلية الجزئية، بينما المفسّر في التفسير الموضوعي، يجمع بين هذه المدلولات التفصيلية، وينسّق بينها، ويَصِل بين جزئياتها المفردة، وبين الكلّ العام الجامع لها، ويستخرج من مجموعها نظريةً قرآنيةً واقعيةً متكاملة.[14]

ب: الفرق بين التفسير الموضوعي والإجمالي.

من الملامح الرئيسة التي تمايز بين التفسيرين ما يأتي:

1:يلتزم المفسر في التفسير الإجمالي بالترتيب التوقيفي للآيات والسور بخلاف التفسير

---

[12] ينظر: منهج الدراسة الموضوعية لآيات الموضع القرآني – أسماء عبد الله عطا الله – مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد:28 – العدد:2 – ص: 691.

[13] ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – صلاح الخالدي – ص:48.

[14] المرجع نفسه – ص:49.

الموضوعي الذي يتحرر فيه صاحبه من هذا الترتيب ويلتزم بالآيات التي تخدم موضوعه فقط.

2:يختلف التفسير الموضوعي عن التفسير الإجمالي كذلك بوحدة الموضوع القرآني، بينما نجد أن المفسر يطرق كل المواضيع التي تشير إليها الآيات القرآنية بترتيبها التوقيفي. وهذه الفروق هي في حقيقتها تتفق ما سبق ذكره بين التفسير الموضوعي والتحليلي.

ج : الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير المقارن.

لعل السمة الفارقة بين التفسير الموضوعي والتفسير المقارن أن التفسير الموضوعي يعنى بدراسة موضوع قرآني محدد واحد بتتبع جميع الآيات التي تناولته؛ بينما يهدف التفسير المقارن إلى الموازنة بين ما ذكره مفسران فأكثر في آيات معينة اتفاقا أو اختلافا.